التشبيه والتمثيل في القرآن الكريم
- سورة الرحمن أنموذجاً -

المدرس المساعد
نهضة صاحب الشريفي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المقدمة:

التشبيه والتمثيل من الفنون العريقة في البيان العربي ولهما موقع مهم ومكانة سامية أطنب في وصف سعتهما ودقتهما وجماليتهما علماء البلاغة قديماً وحديثاً، ومن ذلك قول أحدهم في التشبيه: (اعلم أن للتشبيه موقعا حسنا في البلاغة وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا ويكسبها توكيدا وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو فن واسع النطاق فسيح الخطوة ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك غامض المدارك دقيق المجرى، غزير الجدوى)[1].

وللتشبيه والتمثيل في القرآن الكريم أثر كبير في تطوير حركة البلاغة وأساس ينطلق منه علماء البلاغة في تصوراتهم وإبداعاتهم، كما دلتا أيضاً على إعجاز القرآن وبلاغته في مجالات عديدة، ولذلك يمكن القول أنهما ليسا فناً طارئاً أو عرضاً زائلاً، بل هما من الأسس البيانية التي رسخت أصول الفن البلاغي بصورة عامة بسبب تأثيرهما النفسي والعقلي على الإنسان.

المبحث الأول
نظرة عامة على مفهومي التشبيه والتمثيل

التشبيه والتمثيل لغةً:

التشبيه لغة من مادة شبه وهو(ماله شِبه وشَبه وشبيه، وتشابه الشيئان واشتبها وشبهته به وأشبهته إياه واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لاشتباه بعضها بعضا، وفي القرآن: المحكم والمتشابه، وشبه عليه الأمر: لبس عليه)[2].

وقال ابن منظور: (الشبه والشَبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء بالشيء: ماثله، وأشبهت فلانا وشابهته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها: شبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل)[٣].

والتمثيل لغةً من مادة مثل، يقال مثل فلانا فلانا: صار مثله يسدّ مسدّه، أو: شبهه به وسوّاه، ومثل بالشيء: ضربه مثلا، والمثل جملة من القول مقتطعة من كلام تنقل ممن وردت فيه الى مشابهه بدون تغيير، والمثل: الشبه والنظير[٤].

من أقوال اللغويين نلحظ بوضوح مدى التقارب الدلالي بين التشبيه والتمثيل، مع احتفاظ كل منهما بخصائصه التي ستتضح خلال البحث.

التشبيه والتمثيل اصطلاحا:

أسهب في التعريف الاصطلاحي للتشبيه جمع غفير من علماء البلاغة من المتقدمين والمتأخرين، ويعد المبرد من أقدم العلماء الذين تصدّوا لتعريفه إذ قال: (واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من جوه، وإنما ينظر الى التشبيه من حيث وقع)[٥].

وقال قدامة بن جعفر: (وأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيما يدني بهما الى حال الاتجاه)[٦]، إذ إن التشبيه أصله الاشتراك في صفة أو صفات بين شيئين ولا يطابقه تمام الانطباق وإلا صار واحدا.

أما علي بن عيسى الرماني فقد عرّفه بقوله: (التشبيه هو العقد على انّ احد الشيئين يسد مسد الآخر في حسٍّ أو عقل ولا يخلو التشبيه من ان يكون في القول أو في النفس)[٧].

وقال ابو هلال العسكري مضيفا الى تعريف الرماني: (التشبيه الموصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، ويصبح تشبيه الشيء بالشيء جملة وان شابهه من وجه واحد)[٨].

وجاء السكاكي بتفصيل رصين في قوله: (ان التشبيه مستدع طرفين: مشبّها ومشبّها به، واشتراكا بينهما في وجه وافتراقا في آخر، أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس)[٩].

ونعرض لملاحظة ابن سنان الخفاجي عندما قال: (وانما الأحسن في التشبيه ان يكون

احد الشيئين يشبه الآخر في اكثر صفاته ومعانيه أو بالضد حتى يكون رديء التشبيه وأقل شبه بالمشبه به)[١٠].

ومن علماء عصرنا احمد بن إبراهيم الهاشمي الذي تعرض الى تعريف التشبيه في قوله: (التشبيه اصطلاحا هو عقد مماثله بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم)[١١].

وأما التمثيل فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني تعريفاً اصطلاحيا له إذ قال: (التمثيل هو إحداث علاقة بين طرفين احدهما يجسد الآخر بمثابة تعريف له)[١٢].

أهمية التشبيه وبلاغته:

ثمة تداخل جليّ بين التشبيه والاستعارة - وهي فن من فنون البلاغة - وهذا التداخل يستشعره الباحثون، لذا قد يرد تساؤل مفاده: إن الاستعارة أصلها التشبيه، واذا كان ذكر التشبيه في علم البيان بسبب ابتناء الاستعارة عليه فلماذا لم يوضع كمقدمة لبحث الاستعارة؟

في الواقع ان التشبيه لكثرة مباحثه وعموم فوائده ارتفع شأنه ولم يوضع مقدمة لبحث الاستعارة فهو يستحق ان يجعل أصلا برأسه[١٣]، والقدر الجامع لنظرة البلاغيين الى التشبيه هو التفنن بإظهار الصورة البلاغية للشكل، واستقراء دلالتها الحسية عن طريق تسخير قدرة التشبيه الخارقة في تلوين الشكل بظلال مبتكرة وأشكال متنوعة.

وذكر ابن الأثير أن التشبيه (يجمع صفات ثلاث هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز)[١٤].

وترد بلاغة التشبيه ضمن اعتبارين: الأول: بلاغته باعتبار الصورة الكلامية التي يظهر من خلال إطارها، والثاني: بلاغته باعتبار بُعد مرماه ومقدار ما يعكسه من خيال، والمعنى والقصد الذي يراد منه.

ذكروا في الأول منه بأن (اقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعا لأن بلاغة التشبيه مبينة على ادعاء ان المشبه عين المشبه به ووجود الأداة ووجه الشبه معا يحولان دون ذلك الإدعاء... أما أبلغ أنواع التشبيه فهو التشبيه البليغ لأنه مبني على ادعاء ان المشبه والمشبه به شيء واحد)[١٥].

أما في الاعتبار الثاني فإن بلاغة التشبيه تنشأ من انه (ينتقل بك من الشيء نفسه الى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله، وكلما كان الانتقال بعيدا قليل الخطورة بالبال أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال كان التشبيه أروع للنفس وأدعى الى إعجابها واهتزازها)[١٦].

والتشبيه البليغ ما كان من البعيد الغريب دون القريب المبتذل (لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل للاستماع، ولا منسوجة عليه بيوت العناكب حتى لا يلتفت اليه، ولا يخفى أن المعاني الغريبة أبلغ وأحسن من المعاني المبتذلة، ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألذ، وموقعه من النفس ألطف، وبالمسرة أولى، ولهذا كلما كانت المسألة أدق وأخفى كان لذة اكتشافها أزيد)[١٧]، وقد نقل عن بعض الأكابر انه كان يصف لذة الاكتشاف عند استنباط مسألة مُشكِلة واستخراج حكمها بقوله: (أين أبناء الملوك من هذه اللذات)[١٨]؟!!

وقد أشار الدكتور محمد حسين الصغير الى دقة التشبيه وبلاغته بأنه محاولة بلاغية جادة لصقل اللفظ وتطويره، ومهمته تقريب المعنى الى الذهن بتجسيده حيا،، فأن اراد المصور صورة متناهية في الجمال شبه الشيء بما هو أرجح منه حسنا، وان اراد صورة متداعية في القبح شبهه بما هو أردأ منه صفة[١٩].

التشبيه وأقسامه:

أكدت الدراسات الحديثة في البلاغة العربية من خلال اهتمامها بالحفاظ على التراث القديم الأصيل، مدى اهمية اللغة وفنونها في دفع عجله العلم وكشف الخفي منه، وتأثيرها في حياة الانسان، ودراسة آيات القرآن الكريم لمحاولة الوصول الى التفسير الامثل لها، ولا يتسنى ذلك إلا بمعرفة لغة القرآن وبلاغته لاستيعاب اكبر فائدة تنسج للمرء حياة معرفية افضل.

ومن الموسوعات التي تناولت البلاغة العربية بعمق ودقة موسوعة الشيخ محمد علي بن مراد علي المدعو بالمدرس الأفغاني، ذات الأجزاء الستّة.

وقد فصّل في هذه الموسوعة القول في علم البيان وقدمه على فن البديع لشدة الاحتياج اليه لكونه جزءا من علم البلاغة ومحتاجاً اليه في تحصيل بلاغة الكلام.

وجعل (التشبيه) على رأس قائمة علم البيان الذي يتكون من: المجاز، الاستعارة،

والتشبيه؛ لأن كثرة مباحثه وفوائده الجمة في فنون الكلام جعلته يستحق ذلك[٢٠].

وفي أركان التشبيه قدّم طرفيه بسبب أصالتهما وقوتهما في التركيب، على وجه الشبه والأداة، أما قوتهما على وجه الشبه فذلك لأن الوجه معنى قائم بالطرفين فيكون الوجه عارضاً لهما، والمعروض أكثر أصالة من العارض لأنه موصوف، والوصف تابع له، وأما قوتهما على الأداة فلأن الأداة آلة لبيان التشبيه وكثيراً ما يستغنى عنها[٢١].

وللتشبيه طرفان، إما حسيان: بأن يدركا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة كالخد والورد في المبصرات، والهمس في المسموعات، والنكهة والعنبر في المشمومات، والفاكهة والعسل في المذوقات، والجلد الناعم والحرير في الملموسات، أو عقليان: بأن يقال العلم كالحياة، أو مختلفان: بأن يكون المشبه عقلي والمشبه به حسي أو العكس، ومن ذلك: المنية كالسبع، فأن المنية عقلية لأنها عدم الحياة والسبع حسي، وكذا في العطر والخلق الكريم، فالعطر هو المحسوس بحاسة الشم، أما الخلق الكريم فهو عقلي[٢٢].

وثمة أنماط من التشبيه لا تندرج ضمن الادراك الحسي والعقلي كالخيالات والوهميات والوجدانيات فأراد ان يدخلها في الحسي وفي العقلي تقليلا للاعتبار وتسهيلا للأمر، مشيرا بذلك الى تعميم تفسير الحسي والعقلي[٢٣].

وقد ادرج الخيالي في الحسي لأنه منتزع منه، اما الوهمي فلا يكون للحس مدخلاً فيه فأدرجه ضمن العقلي، فالوهمي يتميز عن الخيالي بأنه لا وجود له لا نفسه ولا مادته، فلو أدرك لم يدرك الاّ بالعقل بخلاف الخيالي فإن مادته موجودة بحيث لو أدرك لكان مدركاً بإحدى الحواس[٢٤].

وأدخل في التشبيه العقلي ما يدرك بالوجداني - أي ما يدرك بالقوى الباطنة - فكل واحدة من تلك القوى وجداناً، وانما دخل ما يدرك بها في العقلي لخفائها وعدم ادراكها بالحواس الظاهرة، كاللذة والألم الحسيين لا اللذة والألم العقليين فإنهما ليسا من الوجدانيات بل من العقليات الصرفة كالعلم والحياة[٢٥].

ومن علمائنا المعاصرين الذين خاضوا غمار البيان العربي السيد احمد الهاشمي، وقد تناول التشبيه بتفصيلاته وتشعباته فجاء تقسيمه كما يلي:

أ) تقسيم طرفي التشبيه الى حسي وعقلي.

ب) تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الافراد والتركيب.

ج) تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما.

د) تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه.

هـ) تقسيم التشبيه باعتبار الأداة.

و) تقسيم التشبيه باعتبار الغرض.

أما الدكتور محمد حسين الصغير فقد قال بصدد تقسيمه للتشبيه: (ينحصر تقسيمنا للتشبيه باعتبارين مهمين نلحظ فيهما الوجهة الفنية والحصيلة البيانية للتشبيه، غير ناظرين في التقسيمات التقليدية في تعداد مفردات التشبيه وافراده، هذان الاعتباران هما: التشبيه باعتبار طرفيه: المشبه والمشبه به، والتشبيه باعتبار وجه الشبه، ولا كبير أمر باعتبار أداة التشبيه)[٢٦].

وأضاف: (هذا تقسيم متطور يختلف عما جرى عليه الأكثرون من البلاغيين الذين اعتبروا أفراد التشبيه - كالتشبيه الضمني والتشبيه المقلوب - وأضرابهما اقساماً له)[٢٧].

التمثيل وعلاقته بالتشبيه:

اختلف العلماء في وجه العلاقة بين التمثيل والتشبيه فمنهم من لم يفصل بينهما، ورأى ان الأصل اللغوي لهما واحد، كما صرح بذلك الشيخ الطبرسي ونهج نهجه كثير من العلماء في عدم تفريقهم بين التشبيه والتمثيل واعتقادهم انما هما شيء واحد[٢٨].

ومنهم من جعل العلاقة بين التشبيه والتمثيل علاقة عموم وخصوص، فقد صرح عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة): (إعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً)[٢٩].

إن التشبيه من وجهة نظر الجرجاني قسمان: قسم لا يحتاج الى كبير تأمل وطول نظر مثل تشبيه الشيء بالشيء في الصورة والشكل والهيئة أو تشبيه صوت بعض الاشياء بصوت آخر، وكذا التشبيه في المحسوسات الاخرى، والتشبيه من جهة الغريزة والطباع والأخلاق،

وهذا يدخل ضمن التمثيل[٣٠]؛ لأن الشبه في هذا كله (بيّن لا يجري فيه التأول ولا يفتقر اليه في تحصيله، وأي تأول يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة وأنت تراها هنا كما تراها هناك؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل)[٣١].

أما القسم الآخر الذي يحتاج الى إمعان نظر فقولنا: هذه حجة كالشمس في الظهور، فهذا التشبيه لا يتم الا بتأول، ولكن (ان ما طريقه التأول متفاوت تفاوتاً شديداً فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول اليه ويعطي المقادة طوعاً حتى انه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء.... ومنه ما يحتاج فيه الى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه الى فضل رؤية ولطف فكرة)[٣٢].

إن الجرجاني في إيراده هذا المثال - أي تشبيه الحجة بالشمس - أراد أن يوضح لنا انه تشبيه من النوع الذي يقرب مأخذه ويكاد يداخل التمثيل الذي ليس فيه شيء من التأول.

وقد يضرب التمثيل بجمل فلا بد لها من ان يتقدمها مذكور يكون مشبهاً به ولا يجوز حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه، وتلك الجمل إذا جاءت بعد المشبه به كانت على ثلاثة انواع:

الأول: ان يكون المشبه به معبرا عنه بلفظ موصول وتكون الجملة صلة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾[٣٣].

والثاني: أن يكون المشبه به نكره والجملة تكون صفه له كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[٣٤].

أما الثالث: فهو ان تكون الجملة مبتدأة وذلك إذا كان المشبه به معرفة، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[٣٥].

فإذا جاء التمثيل في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه (كساها ابهة، وأكسبها منقبه، ورفع من أقدارها وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب اليها واستثار لها من اقاصي الافئدة صبابة وكلفاً وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفاً)[٣٦].

وللتمثيل - من وجهة نظر الشيخ الجرجاني - مظهرين، ويتجلى للأنظار بثوبين، احدهما: ان يجيء المعنى ابتداء في صورة التمثيل وهو النادر القليل، ولكنه على قلته في كلام البلغاء كثير في القرآن الكريم، فمنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾(٣٧).

والآخر: ما يتأثر بالمعاني ويجيء في أعقابها لإيضاحها وتقريرها في النفوس وإيداعها التأثير المخصوص كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣٨).

فإذا جاء مدحاً كان أبهى وأفخم في النفوس وأعظم، كقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾(٣٩).

وإن كان ذماً كان مسه أوجع ووقعه اشد كقوله تعالى في الذي أوتي الآيات فانسلخ منها: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾(٤٠).

وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر كقول الشاعر أبو العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس(٤١)

وان كان اعتذاراً كان الى القبول أقرب وللقلوب أخلب كما جاء في القرآن من بيان عظمة الله وكماله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤٢).

وإن كان وعظا كان الى الصدر أشفى والى الفكر أدعى كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾(٤٣).

والمعاني التي يجيء التمثيل في عقبها على نوعين(٤٤):

١- غريب بديع يمكن ان يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده، كقول الشاعر:

فـــإن تفُـــقِ الانـــام وانـــت منـــهم فـــإن المســـك بعـــض دم الغـــزالِ[٤٥]

٢- ان لا يكون غريباً نادراً يحتاج الى بينة و اثبات كقول الشاعر:

فأصـبحتُ مـن ليلـى الغـداةَ كقـابض علـى المـاء خانتـه فـروج الاصـابع

المبحث الثاني

التشبيه والتمثيل في سورة الرحمن

افتتحت سورة (الرحمن) المباركة بذكر الله تعالى بصفة رحمته العامة الشاملة للمؤمن والكافر، وللدنيا والآخرة، واختتمت بالثناء عليه.

وقد جاء الاستعمال القرآني لأداتين فقط من أدوات التشبيه في آيات سورة (الرحمن) وهي: (الكاف، وكأن)

ومن المعلوم أن كل أداة لها فائدة معينة من جهة تبيين علاقة الشبه بين المشبه والمشبه به، فالكاف تبيّن نسبة متوسطة ومتوازنة بين المشبه والمشبه به، أما (كأن) فهي تمثل النسبة المنخفضة في علاقة الشبه بين طرفي التشبيه[٤٦].

آيات التشبيه في السورة المباركة:

- الآية الكريمة: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٤٧].

أصل (الصلصال) تردد الصوت من الشيء اليابس، وسمي الطين الجاف صلصالا، والمقصود هنا الطين اليابس الذي يتردد منه الصوت إذا وطئ[٤٨]. و(الفخار) يعني الجرار وذلك لصوته إذا نقر كأنما تصور بصورة من يكثر التفاخر[٤٩].

وقد ورد لفظ (الصلصال) في القرآن الكريم، في ثلاثة مواقع من سورة (الحجر) المباركة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٥٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٥١]، ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٥٢]، وورد في سورة (الرحمن) - موضع البحث - مرة واحدة يصف الله تعالى فيها نوع الإنسان بأنه مخلوق من طين يابس ويشبهه بالفخار.

فالمشبه هنا هو الصلصال، والمشبه به الفخار، وأداة التشبيه الكاف، أما وجه الشبه فهو غير ظاهر وتقديره حالة اليبس، وهي الصفة المشتركة بين الصلصال والفخار.

ويعدّ التشبيه في هذه الآية الكريمة مرسلا لظهور أداة التشبيه، ومجملا لأن وجه الشبه محذوف، أما طرفا التشبيه (الصلصال - الفخار) فهما مفردان حسيان كما هو واضح.

• الآية الكريمة: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٥٣].

الجواري من الجري وهو المرّ السريع، والجارية السفينة وجمعها جوار، والمنشآت من الإنشاء وهو إحداث الشيء وتربيته، أما الأعلام فهي من العَلَم وهو الأثر الذي يعلّم به الشيء كعلم الطريق، وسمي الجبل علما وجمعه أعلام[٥٤]،وقد ورد ذكر الجوار والأعلام أيضا في آية الشورى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٥٥]، وورد لفظ الجوار منفردا في آية التكوير ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[٥٦].

في آية (الرحمن) الكريمة شبه الله تعالى السفن المرفوعات الشراع الجارية على ظهر البحر بالجبال في ضخامة حجمها وارتفاعها وشموخها، وذلك على سبيل المبالغة.

المشبه هنا هو الجوار، والمشبه به الأعلام، وأداة التشبيه الكاف، أما وجه الشبه الجامع بين الجوار والأعلام فهو العظم والارتفاع والضخامة، وهو غير مذكور في الآية الكريمة وإنما يفهم من السياق والدلالة.

وهناك من يرى أن التشبيه حاصل بين الموج الهائل الذي ينشأ بصدر السفن عندما تمخر عباب البحر، وبين الجبال الشاهقة في العظم والارتفاع[٥٧].

اعتبارات ووجوه حول هذه الآية الكريمة:

إذا اعتبرنا وجه الشبه في هذه الآية الكريمة نلحظ أن التشبيه هنا حقيقي، فعِظم الحجم والضخامة موجود في كلّ من السفن والجبال وجودا حقيقيا، ويعد هذا التشبيه مرسلا لأن أداة الشبه مذكورة، ومجملا لأن وجه الشبه محذوف.

أما من جهة الإطلاق والتقييد فالمشبه مقيد، إذ إن السفن المنشآت في البحر تبدو كالجبال، والمشبه به مطلق غير مقيد بمتممات من الحال أو الصفة أو الصرف أو غيرها مما له

تأثير على وجه الشبه[٥٨].

ويمكن أن نلحظ اعتبارا آخر لهذا التشبيه هو ((إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها))[٥٩] بمعنى إظهار وإبانة القدرة الربانية على تسخير الأجسام العظيمة في الماء اللطيف الرقيق لغرض الانتقال بين البلدان والأماكن، ونقل البضائع والأحمال وما يلازم ذلك من تسخير الرياح لدفع الأشرعة وجعل السفن تسير منسابة في البحر بقدرته جلّ وعلا.

سبحان الله!! فهذه الآية الكريمة القليلة الألفاظ المكتنزة الدلالات كشفت عن جانب عظيم من آلائه ونعمه التي لا تحصى.

- الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٦٠].

(إذا انشقت السماء): إذا تصدعت وانفك بعضها عن بعض يوم القيامة، (فكانت وردة): أي فصارت كالورد أو حمراء كلون الورد، وقيل كلون الفرس الورد وهو الفرس الأبيض الذي يضرب الى الحمرة أو الصفرة، (الدهان): الدهان والأدهنة جمع دهن وهو الأديم الأحمر[٦١].

إذن اتضح لنا بأن السماء إذا تصدعت بدت مثل الوردة في الحمرة أو مثل الأديم الأحمر أو الزيت عند ذوبانه في حرارة نار جهنم، فالمشبه هو السماء، والمشبه به الورد أو الأديم أو الدهن، وأداة التشبيه هي الكاف، أما وجه الشبه فهو محذوف، وسيتضح تقديره من خلال تحليل الآية الكريمة.

التداخل بين التشبيه والتمثيل:

ينبغي الإلفات الى أن هذه الآية الكريمة يتداخل فيها تشبيهان: الأول هو تشبيه السماء بالوردة، والآخر تشبيه الوردة بالدهان، فهنا جاءت الوردة مرة مشبها وأخرى مشبها به.

بيد أن هناك طرح مغاير مفاده أن هذا النص القرآني يتداخل فيه التمثيل والتشبيه، وقد شجب متبني هذا الطرح ردم الفارقية بين التمثيل والتشبيه - كما هو نهج جملة من البلاغيين - ولم يعدّ هذه الآية الكريمة من الصور التفريعية التي يتفرع من تشبيهها تشبيه

آخر، لأنه ينطوي على صورتين متداخلتين ومتراكبتين، الأولى: التمثيل، وهو تجسد السماء (وردة)، والأخرى: التشبيه المتفرع من الصورة الأولى وهو ان الوردة كالدهان(٦٢).

وذهب طرح آخر الى أن النص القرآني شبه الوردة بالدهان من حيث اختلاف ألوانه، ونقف في هذا الطرح على وجهين من التشبيهات:

الأول: تشبيه السماء بلون الوردة، والآخر: تشبيه السماء بلون الدهان(٦٣).

إنها صور مهيبة متنوعة متعاقبة، صورة السماء منشقة، وصورة الوردة ثم صورة الدهان.

ورسم الفراء لوحة جميلة لمعنى المشبّه به في هاتين الصورتين، فالوردة في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، ثم غبراء داكنة عند الذبول، فهذا التلون التدريجي من اللون الناصع إلى الداكن يشبه أيضاً لون الذهب وقد عملت فيه النار فاشتعل بلون أصفر ثم بدت ألسنته محمرّة إذا آذن بالانطفاء، ثم تحول الى رماد داكن(٦٤).

• الآية الكريمة: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾(٦٥).

الياقوت والمرجان من الأحجار الكريمة التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان، والتشبيه في هذه الآية الكريمة متعلق بالآية السابقة لها في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾(٦٦)، ومن الواضح أن الضمير في (كأن) يشير الى (قاصرات الطرف) وهنّ الحور العين في الجنة، وقد شبههن الله سبحانه في هذا النص بالياقوت والمرجان لصفائهن وبياضهن وجمالهن.

المشبه: الضمير في (كأن) العائد على (قاصرات الطرف)

المشبه به: الياقوت والمرجان، أداة الشبه: كأن

وجه الشبه: محذوف تقديره الصفاء والنقاء والجمال

طرفا التشبيه مشتركان في صفة محسوسة، ولكن يلاحظ أن للنفس في اختيار المشبه به الذي له صفة الصفاء والنقاء ميلا كبيرا، فليس في الياقوت والمرجان واللؤلؤ المكنون لون يشوّق السامع فحسب بل فيه أيضا هدوء صاف ونقاء شفاف، وهما من غايات النفس

العليا التي تتوق إليها بشوق وحنين.

الخلاصة:

التشبيه والتمثيل من فنون البلاغة العربية ويعدّان أساسا ينطلق منه العلماء في تصوراتهم وإبداعاتهم، ولدى تأملنا في أقوال اللغويين نجد مدى التقارب الدلالي بين التشبيه والتمثيل، مع احتفاظ كل منهما بخصائصه ومميزاته.

وقد أسهب في التعريف الاصطلاحي للتشبيه جمع غفير من علماء البلاغة من المتقدمين والمتأخرين، ويعد المبرد من أقدم العلماء الذين تصدّوا لتعريفه إذ جعل للتشبيه حدّ لأن الأشياء إذا تشابهت من جهة فهي تتباين من جهة أخرى.

وأما التمثيل فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني تعريفاً اصطلاحيا له بيّن فيه أن التمثيل هو إحداث علاقة بين طرفين احدهما يجسد الآخر بمثابة تعريف له.

وتأتي بلاغة التشبيه ضمن اعتبارين: أحدهما: بلاغته باعتبار الصورة الكلامية التي يظهر من خلال إطارها، والآخر: بلاغته باعتبار بُعد مرماه ومقدار ما يعكسه من خيال، والمعنى والقصد الذي يراد منه.

وقد عرضنا لموسوعة الشيخ محمد علي بن مراد علي المدعو بالمدرس الأفغاني، ذات الأجزاء الستّة، في تقسيمه للتشبيه ذكر فيها ان له طرفان، إما حسيان يدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، أو عقليان، أو مختلفان: بأن يكون المشبه عقلي والمشبه به حسي أو العكس.

ومن علماء البلاغة المعاصرين الدكتور محمد حسين الصغير، وقد أهمل الأداة في تقسيمه للتشبيه ولم يقم لها اعتبار لأنها - بحسب اعتقاده - ليست بذات أهمية كأهمية الاعتبارات الأخرى مثل طرفيه ووجه الشبه.

واختلف العلماء في وجه العلاقة بين التمثيل والتشبيه فمنهم من لم يفصل بينهما، ورأى ان الأصل اللغوي لهما واحد، ومنهم من جعل العلاقة بين التشبيه والتمثيل علاقة عموم وخصوص مبينا أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه.

وقد جاء الاستعمال القرآني في آيات سورة (الرحمن) المباركة لأداتين فقط من أدوات التشبيه وهي: (الكاف، وكأن)ووقع التشبيه في أربع آيات كريمات في هذه السورة هي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

وتم التوقف عند هذه الآيات وتبيان الصورة التشبيهية فيها، فاتضح أن التمثيل والتشبيه يجتمع في آية ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ لأنه ينطوي على صورتين متداخلتين ومتراكبتين، الأولى: التمثيل، وهو تجسد السماء (وردة)، والأخرى: التشبيه المتفرع من الصورة الأولى وهو ان الوردة كالدهان، في حين أن الآيات الأُخر انطوت على الصورة التشبيهية فحسب.

Abstract

Simile and allegory are recognised as part of the figures of speech in Arabic، and grounds for scholars to initiate and develop their theories and base their creations. Casting a look on the Arabic lexicons، we realise that linguists highlighted a close affinity between simile and allegory on the lexical level، while each one retains its original features simultaneously.

Dozens of the preceding and succeeding scholars in Rhetorics were prolific in defining the idiomatic meaning of simile. Al-Mubarrad is reckoned one of the earliest scholars who undertook the task of defining simile، whereby he circumscribed it by limitations، as any two things which resemble each other in certain respects would vary in others.

As for allegory، Al-Jurjānī in his idiomatic definition of allegory elucidates that it is to engender a relationship between two things، each of which portrays the other and defines it.

The rhetoric of simile is based on two premises، firstly: its eloquence in view of the given image which underlies it، and secondly: eloquence due to its depth and far afield objective to be attained، and the imagination reflected thereby.

In the progress of the research، we came upon the six volume encyclopaedia of Mohammed Ali bin Murād، nicknamed Al-Mudarris Al-Afghānī in his categorisation of simile into two ends، either perceptible، recognised by one of the five senses، or intellectual، as well as varied in the

sense that the first object of comparison is intellectual and the second object which is likened to، is perceptible or vice versa.

Among the contemporary scholars of Rhetorics is Dr. Mohammed Hussein As-Śaghīr who omitted the connective word، eg. 'like'، 'as'، seeing it as insignificant compared to the two ends or objects and the ground of the analogy and comparison.

Scholars differed on the type of the relationship between the simile and allegory; some find them inseparable seeing their lexical root as one and the same، while others considered that relationship as a matter of generality and particularity in that the simile is general and allegory is more specific.

In Quran، only two connective words were used in SuratAr-Rahmān، that is 'ك' 'as' & 'كأن' 'as if' across four honourable ayahs: {He created man from dry clay **like** pottery}، {And His are sailing ships raised up **like** mountains}، {so when the sky will be split apart and will become rosy **like** red hides}، {they will **look as if** they were rubies and corals}.

These very verses were subjected to analysis to extract the inner analogy، and it was concluded that other than the ayah: {so when the sky will be split apart and will become rosy like red hides} there is no ayah of the above mentioned that incorporate both allegory and simile. This very ayah comprises two intertwined blended images; the first of which is the depiction of the sky as a flower، and the second، where a simile is derived from the first image، is the flower like red hides، whereas the other ayahs include no more than the simile.

هوامش البحث

(١) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ١٥٨

(٢) اساس البلاغة، الزمخشري: ٣٢٠

(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة شبه

(٤) المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء: مادة مثل

(٥) الكامل: ٧٦٦/٢

(٦) نقد الشعر: ١٢٢

(٧) النكت في اعجاز القران: ٧٤
(٨) كتاب الصناعتين: ٢٤٥
(٩) مفتاح العلوم: ١٧٧
(١٠) سر الفصاحة: ٢٩٠
(١١) جواهر البلاغة: ٢٤٧
(١٢) دراسات فنية في سور القران، محمود البستاني: ٦٣٠
(١٣) ظ: المدرس الافضل: ٦/ ٤١
(١٤) المثل السائر: ١/ ٣٩٤
(١٥) جواهر البلاغة: ١٧٧
(١٦) م. ن: ١٧٦
(١٧) المدرس الافضل: ٦/ ٢٠٤
(١٨) م. ن: ٦ / ٢٠٤
(١٩) ظ اصول البيان العربي: ٧٩
(٢٠) ظ المدرس الافضل: ٦/ ٣، ٤١
(٢١) ظ م. ن: ٦/ ٤٩، ٥٥
(٢٢) ظ م. ن: ٦/ ٥٥
(٢٣) م.ن: ٦/ ٥٥
(٢٤) ظ: م.ن ٦/ ٥٩
(٢٥) ظ م. ن: ٦/ ٦٤
(٢٦) اصول البيان العربي: ١٠١
(٢٧) م. ن: ١٠١
(٢٨) ظ البحث البلاغي في مجمع البيان: ١٢٤
(٢٩) اسرار البلاغة: ٧٥
(٣٠) ظ م. ن: ٧١، ٧٢
(٣١) م. ن: ٧٢
(٣٢) م. ن: ٧٣
(٣٣) سورة البقرة: ١٧
(٣٤) سورة النور: ٣٩
(٣٥) سورة العنكبوت: ٤١
(٣٦) اسرار البلاغة: ٩٢، ٩٣

(٣٧) سورة البقرة: ١٧١
(٣٨) سورة الزمر: ٢٩
(٣٩) سورة الفتح: ٢٩
(٤٠) سورة الأعراف: ١٧٦
(٤١) ديوان ابي العتاهية: ٢٣٠
(٤٢) سورة الزمر: ٦٧
(٤٣) سورة الحديد: ٢٠
(٤٤) ظ اسرار البلاغة: ١٠٣، ١٠٤
(٤٥) ديوان المتنبي: ٢/ ٣٠
(٤٦) ظ أساليب البيان، جعفر الحسيني: ٢٤٨
(٤٧) سورة الرحمن: ١٤
(٤٨) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: مادة صلل ٢٨٩
(٤٩) م. ن: مادة فخر ٣٧٦
(٥٠) سورة الحجر: ٢٦
(٥١) سورة الحجر:٢٨
(٥٢) سورة الحجر: ٣٣
(٥٣) سورة الرحمن: ٢٤
(٥٤) ظ المفردات في غريب القرآن: مادة جرى ٩٩، نشأ ٤٩٤، علم ٣٤٨
(٥٥) سورة الشورى: ٣٢
(٥٦) سورة التكوير: ١٦
(٥٧) ظ مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٢٠٢
(٥٨) ظ أساليب البيان: ٣١٥
(٥٩) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/ ٨٥
(٦٠) سورة الرحمن: ٣٧
(٦١) مجمع البيان: ٩/ ٢٠٥
(٦٢) ظ دراسات فنية في صور القرآن، محمود البستاني: ٦٣٠
(٦٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٧
(٦٤) ظ معاني القرآن، الفراء: ٣/ ١١٧
(٦٥) سورة الرحمن: ٥٨
(٦٦) سورة الرحمن: ٥٦